مجلة الرائد

العدد : ٢١٠ الموافق في صفر ١٤٢٠ هجري ٦ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : الطغاة وحرية القلم – ٣ –	بقلم : د. موفق الحكيم

وليست الخطورة في هذه الأقلام المأجورة ، محصورة في إطراء الحاكم والثناء عليه بالحق والباطل ، والطلب إلى الشعب أن يسبح بحمده ويشكره على آلائه ونعمه ، وأن يشكروا الله بكرة وأصيلاً على أنه أرسله إليهم ، وخصهم به من دون الشعوب والحكام ، ومن غير الأمم والأقوام !! بل إن هؤلاء الكتاب يفسدون أيضاً الأخلاق والآداب ، ويعلمون الناس الكذب والنفاق ، ويقلبون المعايير والمقاييس ، فيجعلون المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، كما أنهم يثيرون الغرائز ويشجعون على الشهوات وينشرون الإباحية ... ويساعدهم في ذلك وسائل الإعلام العديدة المضللة ، والتي سخرها الحاكم وزبانيته لأمثالهم ، وهذه الوسائل تتسلل إلى قلوب وعقول كثير من الناس ، وتهاجمهم بأفكارها البلهاء وسمومها السوداء ، في عقر منازلهم ومكاتبهم ومدارسهم ... أضف إلى ذلك دور الصحافة والطباعة والنشر ، ووسائل الترفيه من مسرح وسينما .. يقول الدكتور محمد حسين هيكل في « ثورة الأدب » " وإذا كنا بسبيل الكتّاب ، ورجال العلم ، فإن المنافقين والمتملقين ممن يظهرون في عصور الطغيان هم على الإنسانية بلاء دائم وشرّ مستطير ، يفسدون الآداب والأخلاق ، ويعلمون الناس الكذب والنفاق ، وينزلون بأدب الكتابة إلى أحط درجاته ، وهم مع ذلك من الطاغية موضع إغرازه وإن شاب الإغراز احتقار !! ثم هم لن ينزل بهم حيف أو ينالهم بسبب إفسادهم الخلق والأدب واللغة أي أذى ، بل إنك لتراهم حثالة السفالة المُجسمة موضع الإكبار من بطانة الطاغية لأنهم يعتقدون أن في الزلفى إليهم والقرب منهم وسيلة لاستعادة الجاه الكاذب والمال المسروق !! "

ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله تحت عنوان « أدب الإنحلال » : " أدب الإنحلال هو في الغالب أدب العبيد ، عبيد الطغيان أو عبيد الشهوات حين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض ، أو لشهوة من شهوات الجسد ، فإنها تعجز عن التحليق في جو الحرية الطليق ، وتلصق بتراب الأرض ، وترتكس في وحل المستنقع ، مستنقع الشهوات أو مستنقع العبودية سواء ، فأدب الإنحلال على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة أو من القدرة على الكفاح في سبيل مثلٍ أعلى ، مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تملق الطغيان ، لتحقيق مطمع صغير أو مطمع حقير ، أي عندما تصبح الدنيا سيجارة وكأساً أو تصبح الحظوة عند الطغاة أمنية المتمني في دنيا الناس ".

وكما ذكرنا فإن وسائل الإعلام المضللة تقف وراء هؤلاء الكتاب وتساعدهم في نشر أفكارهم

المُخرّبة ، وآرائهم المدمرة ، وتمنع الأقلام الحرة الأبية من الرد عليها والنيل منها . يقول الأستاذ عصام العطار : " إن قيلت كلمة الحق بفم واحد أو قلم واحد ، قيلت كلمة الباطل بألف فم وألف قلم ، واتصلت بالعيون والأسماع بمختلف وسائل الإعلام "

ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم في هذه الصحافة المضللة الكاذبة :

جرائدُ ما خُط حرف بها لغير تفريق وتضليل

يحلو بها الكذب لأربابها كأنها أول إبريل

ويقول الشاعر ابن الخل البغدادي في الأقلام المأجورة التي تجعل الحق باطلاً والباطل حقاً :

في زُخرف القول تزيينٌ لباطله والحق قد يعتريه سُوءُ تعبير

تقول : هذا مجاجُ النحل تمدحُهُ وإن ذممته فقل : قئ الزنابير

مدحاً وذماً ، وما جاوزتَ وصفهما حُسن البيان يُري الظلماء كالنور

ويقول الشاعر محمد مصطفى حمام في وصف وسائل الإعلام المزيفة هذه :

ويح الشباب إذا الشيطان نازعهم على العقول فأوهاها وألغاها

قد علمتهم أفانين الخنا غش بصائرها زيغ وأعماها

وشاشةٌ ضل راويها وعارضها ومن برسم الخنا والرجس جلاها

ومجرم في المذياع لقنهم ألحان فحش وزكاها وغناها

ووالد غافل لاه ومدرسةِ نظامها عن نظام الدين أقصاها

إن معركة لا توازن فيها ولا هوادة بين أقلام قليلة تنشد الحق وتطلبه ، وبين أقلام كثيرة تنشد الباطل وتطالب به ، ومع ذلك فإن مصير هذه المعركة وإن طال ، مع الحق وإن قل أتباعه ، وضد الباطل وإن كثُر أعوانه . يقول الأستاذ عصام العطار : " ماذا تفعل أقلام قليلة في مواجهة الأقلام الخادعة ، وألسنة قليلة في مواجهة ألوف الألسنة الكاذبة ، ومجلات صغيرة محدودة في مواجهة ما لا يحصى من الصحف والمجلات الكبيرة المنوعة المنتشرة التي تتخطى كل حدود الأرض ، ولكن الحق مع ذلك كله له نوره الذي يهدي إليه ، والله من وراء ذلك كله بالمرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون "

وهذه الأقلام المأجورة ، وبعون ودعم من الداخل والخارج ، بذرت في أرضنا الطاهرة الكريمة بذوراً خسيسة ، أزهرت نفوساً خبيثة ؛ رجالاً يحملون وجوه المسلمين ، ويتسمون بأسمائهم ويتزيون بأزيائهم ، ولكن قلوبهم وعواطفهم وأفكارهم ومعتقداتهم مخالفة تماماً لطبيعة المجتمعات المسلمة التي يعيشون فيها ، وقد نثر هؤلاء أفكارهم السوداء وزرعوها في عقول الناس ، فتراهم يُسمون الأشياء بغير مسمياتها الحقيقية ، فأصبح الربا « فائدة » والخمر « مشروباً روحياً » والرقص « فناً راقياً » والمجاهرة بالرذيلة « حرية » والعودة إلى الدين « تخلفاً ورجعية » والمطالبة بالحقوق « تعصباً وتطرفاً » والمطالبة بتطبيق حدود الله « وحشية وهمجية » وأصبح لديهم الاحتيال « ذكاء » والرذيلة « فناً » والتبعية « انفتاحاً »...

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إنهم يهاجمون الدين سراً وعلانية ، جهراً وتورية ، وقد يلبسون دعواتهم الباطلة في محاربة الدين لبوس العلم ، ويظهرونها بمظهر الصلاح والخوف على مستقبل الدين ، فيعمدون إلى تحريف الكلم عن مواضعه ويُلبسون على الناس دينهم عن طريق تأويل النصوص وتشويه التفاسير على نحو يسلب الدين مضمونه ، وينظرون إليه باعتباره مجرد تراث قومي أو حضاري إنساني ، فالإسلام عند هؤلاء المبطلين تراث ، كما أن الشعر الجاهلي تراث ، وألف ليلة وليلة تراث ، والفلسفة اليونانية تراث ، والتشريع الروماني تراث ، والتراث كما نعلم يكون فيه الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ،والقبيح والجميل ، والفضيلة والفجور ، وما يؤخذ منه ويعرض عنه ... فإذا ما اشتكى شاك أو عارض معارض ، فإنهم يسكتون الأصوات ، ويكممون الأفواه بحجة « حرية الرأي والتعبير »!! . وكأن هذه الحرية المزيفة الشوهاء مسموح لها أن تتدخل في ثوابت الدين وأصول الشرع ، ، ولكنه لا يسمح لها أن تعارض متغيرات السياسة وتقلبات الحكم وخاصة إذا وصل الأمر إلى سلطة معينة أو زعيم ما أو حزب حاكم !! يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله " إن الذين يزعمون أن من حقهم أن يقولوا ما يشاؤون باسم حرية الكلمة ، ينسون أن شرف الكلمة قبل حريتها ، ولم أجد أمة تسمح بالخيانة الوطنية باسم الحرية ، ولكن نفراً عندنا يريدون خيانة الشرف الاجتماعي باسم الحرية ، ولو كان عندنا رأي عام واع لحاكمهم كما يحاكم خونة الوطن في قضاياه الوطنية "

والمصيبة الأعظم ، والخطر الأشد ، أن هؤلاء الكتاب المتملقين المأجورين ، قد يسيرون بالأمة حاضراً ومستقبلاً في طريق الكارثة ، وينحدرون بها إلى الدرك الأسفل من الهاوية ، وذلك من خلال

فلسفة الواقع ، وبحيث يزرعون الهزيمة النفسية في قلوب الأمة ورجالها تجاه أعدائها ، وهذا ما نشاهده اليوم ، حيث أفرغت معظم المصطلحات من محتواها وبدلت معانيها ، وتغيرت المعايير ، وأنزلت الثوابت منزل المتبدلات والمتغيرات .. فأصبح الاستسلام سلاماً وأصبح الأعداء أصدقاء وأصبح الدين في السياسة حراماً وأصبحت كتابات هؤلاء المفكرين « الواقعيين » وتحليلاتهم للمستقبل أدق وأوضح من حقائق القرآن الكريم والسنة الشريفة - والعياذ بالله - وأصبح « دافيد » راعي السلام والأمن وعنوان الحضارة والازدهار ، وأصبح المتمسك بدينه عنوان الإرهاب والانتقام ، وأصبح الجسم الغريب الذي ينشر سمومه وينفث حممه في جسم الأمة بمثابة « ناظم الخطى » الذي ينظم دقات القلب ويوفر للجسم الصحة والسلامة ،وأصبح الجهاد ضد العدو « إرهاباً » والذل « حلماً » والركوع « تواضعاً » والخنوع « سياسة » ...

يقول الأستاذ عصام العطار : " وهناك أمر خطير كل الخطورة أحب أن ألفت إليه الأنظار، إنه ذلك الجهد الكبير المتنوع الأشكال والألوان الذي تقوم به جهات خارجية وجهات داخلية : سياسية وثقافية وصحفية ، لفلسفة الواقع العربي التشرذمي والإنهزامي الراهن ، وتبريره وجعله الأساس والمقياس ، ودفع العرب في طريق الاستسلام والانسلاخ عن المبادئ والقيم والهوية والثوابت الدينية والقومية والوطنية ، فالوحدة العربية عندهم وهم وعبث أن يسعى إليها وإضاعة وقت ، واسترجاع ما اغتصب من أرضنا وامتلاك القدرة على مناهضة عدونا وهم ! والتحرر من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الكبرى وهم ! والتمسك بالهوية الإسلامية والعربية والوطنية في عصر العولمة وهم وتخلف وعائق عن التكيف والتقدم والحياة ، إنهم يغذون الإحباط ويشيعون اليأس من كل شيء أصيل كريم رفيع ولا يفتحون إلا أبواب الاستسلام والاغتراب والضياع "

نعم ، إننا نعيش وللأسف في كثير من الأقطار العربية والإسلامية على أنظمة تعتمد قولاً سائراً مؤداه : "هناك جرائم تصبح محترمة بقوة الاستمرار" . وهذا يبين أن قليلاً من القمع ، يسنده تشريع ظالم وتحميه وتؤيده قوى تنفيذية غاشمة ، فإن هذا كاف وعلى مدار السنين وتعاقب الأجيال لإماتة دعوة الحق ، ولإرهاب دعاة الحق ، فإذا ما سار الناس زمناً على ذلك ألفوا الباطل واستألفوه ، وأنسوا به واستأنسوه ، وعدوا المنادي بالعدل والحق والحرية ثائراً أو خائناً أو زنديقاً أو رجعياً أو مجنوناً أو إرهابياً .. ولكننا نقول لأمثال هؤلاء الحكام الظلام ومن خلفهم هؤلاء الكتاب المأجورين المتلهفين ما قاله لأمثالهم الأستاذ عصام العطار : " كفى بالمرء خيانة أن يكون عوناً للخائنين ، وظلماً أن يكون عوناً للظالمين ، وفساداً أن يكونا عوناً للمفسدين "

- للبحث صلة -